تقدير استشرافي ٢٠٢٤

مقاربات

٢٨ كانون الأول

السياسات التركية في ظل المتغيرات السورية

د. هدى رزق

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

تقدير استشرافيّ: السِيَاسَاتُ التُركِيَّةُ فِي ظِلِّ المُتَغَيرَاتِ السَّورِيَّة

-د. هدى رزق-

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

©جميع الحقوق محفوظة للمركز

السِيَاسَاتُ التُركِيَّةُ فِي ظِلِّ المُتَغَيرَاتِ السوَّرِيَّة

د. هدى رزق

أستاذة وباحثة في علم الاجتماع السياسي - متخصصة في الشأن التركي.

مع تغيير النظام في سـوريا، قد يتوقع السـوريون مسـتقبلاً حرًا وتعدديًا، لكنهم في الوقت عينـه قد يُضطرون إلى النضال مع القادمين الجدد لتحقيق ذلك. الاحتفال بانهيار النظام السوري لا يشير تلقائيًا إلى السلام والاستقرار في البـلاد. بل على العكس من ذلك، بمجرد أن تهدأ نشـوة الانتصار قصيرة الأمد، سـوف تواجه (سـوريا ما بعد الأسـد) شـبكةً معقدةً من التحديات: صراعات القوة بين الفصائل المختلفة وإعادة بناء البنية الأساسـية والجهود الرامية إلى تحقيق الإجماع السياسي والمنافسة بين الجهات الفاعلة الدولية.

تشكيل مستقبل سوريا سوف يتطلب بذل جهود أكثر تعقيدًا وشمولاً. وفي هذه العملية، سوف يكون تأسيس جيش وطني موحد، وضمان انتقال سياسي عادل ودمج الجماعات المسـلحة في سورية تحديًا هائلاً، وهذا ليس مجرد مشروع عسـكري فحسب، بل يتطلب إجماعًا سياسيًّا واجتماعيًا عميقًا لبناء هيكل يمكن للجماعات المسـلحة والمجتمعـات العرقية والدينية المتنوعة

أن تتعايش فيه؛ فلم يستغرق الأمر وقتًا طويلاً قبل أن يخرج إلى الشوارع المسيحيون والعلويون وكذلك النساء ممن تعرضوا للمضايقات والعنف.

وبينما يجري البحث في إنشاء (سوريا الجديدة) لن يكون للسوريين فيها سوى كلمة محدودة، ويمكن القول في الوقت الحالي أنَّ الفائزين هما: تركيا تحت حكم الرئيس (رجب طيب أردوغان) و«إسرائيل» تحت حكم (بنيامين نتنياهو). أدى الرئيس التركي (أردوغان) خدمةً لـ"إسرائيل» بتحقيق هدفها المتمثل في «الحد من نفوذ إيران»، أما (أردوغان) على المستوى الشخصي فهو عبَّر عن شعوره بالسعادة برؤية «العلم السوري الحر» وعلم النجمة والهلال جنبًا إلى جنب في (حلب ودمشق وحماة وحمص ودرعا ومنبج) إلا أنَّ اهتمامات تركيا و«إسرائيل» سوف تختلف من الآن وصاعدا، حيث سيصبحان متنافسين.

سِيَاسَةُ «إسرائيل» فِي سُوريَا

تعمل «إسرائيل» على إنشاء مراكز لزيادة التواصل مع الوجهاء المحليين في المناطق المحتلة. ويعد المركز الذي تم افتتاحه في مبنى البلدية بمدينة البعث في منطقة القنيطرة أحد هذه المراكز، وهي تفرض نفسها كسلطة الأمر الواقع، فتبلغ الناس ما إذا كان بإمكانهم الذهاب إلى حقولهم أم لا. ويُفرَض حظر التجول بالتزامن مع إجراءات إعداد البنية التحتية المادية للاحتلال

وتجريـف بعض المباني وتدمير المـزارع الصغيرة وإقامة السـدود وتركيب كاميرات المراقبة وأجهزة التجسس والاتصالات، وبحسب صحيفة «(ديعوت أحرونوت)، فإنَّ «الجيش الإسرائيلي» يسـتعد لبقـاءٍ طويل. يعمل «الجيش الإسرائيلي» -في هذا السـياق- على قاعدتين رئيسيتين في الجانب السوري. إنـه يبني مراكز الشرطـة ويفتح طرقًا جديدة على الجانب السـوري من جبل الشـيخ (الذي هو بأكمله تابع لسورية حسب قرارات الأمم المتحدة). وتنقل «إسرائيـل» أطنانًا من مواد البناء والمعدات العسـكرية والمدنية إلى المواقع العسـكرية في القمة لتعزيز سـيطرتها على المنطقة المطلة على دمشق، ولا يبدو أنها سـتغادر الأماكن التي اسـتولت عليها في (جبل الشـيخ والقنيطرة وريف دمشق وريف درعا) وهكذا تعتقد أنه يمكنها التفاوض على مرتفعات الجـولان، التي احتلتهـا في العام ١٩٦٧، واثقةً من أنهـا يمكن أن تبقى في الأماكن التي دخلتها.

طالمـا كان (جبل الشـيخ وحوض اليرمـوك وينابيع الميـاه العذبة) جزءًا من خُطط «إسرائيـل» التي تحققت اليوم. التي قد تسـعى إلى التفاوض مع الدروز وتسعى إلى ضم السويداء، لذلك توجه الزعيم الدرزي اللبناني (وليد جنبلاط) إلى أنقرة بعد دمشـق سعيًا إلى وسـاطةٍ تركية لعرقلة الحكم الذاتي الذي تسـعى إليه «إسرائيل» ومنْع التحركات الاسـتفزازية التي تقوم بها. من المؤكد أنَّ «إسرائيل» تشعر بالامتنان للثنائي (الجولاني) و(أردوغان)، لكنها

في الوقت عينه تريد جارةً (بلا عظام). وهي ترسم الحدود مقدمًا من خلال الاحتلال والتهديدات. هكذا، تعلن إلى أي مدى ستسمح لـ(سوريا الجديدة) التمتع بالقوة، فهي جاثمةٌ اليوم على قلب سوريا، في الوقت الذي يزداد عدد مؤيدي مهاجمة إيران في «إسرائيل».

تُركِيَا وَطُمُوحَاتهَا إِلَى أَينَ؟

ما يهم تركيا بدايةً، هو إعطاء الشرعية الدولية للإدارة الجديدة، هذه الخُطوة الأولى والأصعب؛ حيث تفتقر (هيئة تحرير الشام) إلى المعرفة والخبرة والموظفين اللازمين لإعادة بناء البلاد، لذلك، أهم مشاريع أنقرة الانخراط في تأسيس الجيش والشرطة والمخابرات والقضاء والمالية والمؤسسات الاقتصادية والإدارة المحلية، وهو ما تسميه أنقرة (نقل الخبرة).

لكن يبقى الأهم هو التعامل مع الجماعات المسلحة، خاصة تلك المدعومة من تركيا، والإيعاز إليها بحل نفسِها والانضمام إلى الجيش السوري الجديد، في هذا الصدد قد تتخذ الولايات المتحدة خطوات كإزالة (هيئة تحرير الشام) من قائمة الإرهاب ورفع العقوبات عن قادة الجيش الوطني السوري. لكن قد تأتي مثل هذه الخطوات بشروط مسبقة، كالحد من تدخل دمشق في المناطق التي يسيطر عليها (حزب الاتحاد الديمقراطي وقوات سورية الديمقراطية)؛ حيث إن جمع جماعات مثل: (هيئة تحرير الشام

وحزب الاتحاد الديمقراطي والجيش الوطني السـوري) تحت مظلة واحدة أمر بالغ الأهمية بالنسـبة لواشـنطن، كما أنه يشـكل تحديًا كبـيرًا؛ فـ(حزب الاتحاد الديمقراطي) يخشى فقدان هيمنته في المناطق التي يسيطر عليها إذا تم نزع سـلاحه، ويسـعى إلى الحد من تأثير تركيا في كوباني (عين العرب). وبالمثل، تواجـه الجماعات المدعومة من الولايـات المتحدة في الجنوب مخاطـر مماثلة. إضافة إلى أنَّ هنـاك الآلاف من المقاتلين الأجانب، بما في ذلـك الأوزبك والأويغور والأفغان والشيشـان. الذين لا يعرفون بالضبط ما الدور الذي سيلعبونه في (سـوريا الجديدة)؟ وهل سيؤدي منحهم الجنسية أو دمجهم في الجيش الوطني إلى إثارة الاستياء بين السوريين؟

يتجاوز اضطلاع تركيا بأمن الحدود وإدارة أزمة اللاجئين إلى أدوار تتجاوز قدرتها على إدارة الشؤون الداخلية السورية بما قد لا يخدم مصالحها؛ فهي تستضيف بالفعل أكثر من أربعة ملايين لاجئ سوري، معظمهم ليس لديهم نيـة للعودة. ويمكـن أن يؤدي ميـل المجتمع الـدولي إلى تفويضها الجزء الأعظم من المسـؤولية في تنظيم سـوريا إلى مزيد من الشروط التي ستثقل كاهل الاقتصاد التركي المتضخم، وخاصة مع تحفظ الدول العربية والغرب، مـما قد يزيد الضغـوط على أنقرة. كـما أنَّ أي زلة في فرض الاسـتقرار من شـأنها أن تفرض عبئًا غير متناسب عليها، سواءً على الصعيد الاقتصادي أو السياسي.

تُركيَا وَالعَلَاقَة مَعَ الإِدَارَة الأَمريكيَّة

الولايات المتحدة بشقيها: الديمقراطي والجمهوري، تريد إرساء النظام الجديد بطريقة تضمن أمن «إسرائيل» وهي تمنح «إسرائيل» الحق في تدمير جميع الأصول العسكرية السورية وتوسيع الاحتلال، ضاربةً عرض الحائط بكل المواثيق والقوانين الدولية، ومع تولي ترامب الرئاسة، ستعمل «تل أبيب» لضم المناطق التي وصلت اليها؛ ففريق (ترامب) يؤيد كل ما تفعله «إسرائيل»، بما في ذلك الإبادة الجماعية والإرهاب والاغتيالات والتفجيرات والاحتلال. أما (أردوغان) فهو واثق أيضًا في أن (ترامب) سيبارك وجوده ويدعمه في سوريا.

يعزو (مايكل فالتز)، مستشار ترامب للأمن القومي، التغييرات الجذرية التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط إلى "العدوان الإسرائيلي". وبينما يقول إنهم سيراقبون أمن "إسرائيل" عن كثب، فإنه يعتقد أنَّ الولايات المتحدة ليست بحاجة للذهاب إلى الميدان في سوريا. فهو يؤكد أنه قد تم تسليم سوريا إلى أعداء لدودين لإيران وحزب الله، أي (هيئة تحرير الشام)، وطالما أنهم لا يهددون "إسرائيل"، فلا مشكلة.

(والتز) يقول: "إنَّ المكان الذي تخليه إيران يجب أن يملأه الأكراد، وقد يتم ضم قوات سوريا الديمقراطية إلى النظام ويمكنهم العمل كحراس لمراقبة تطبيق (هيئة تحرير الشام) للشروط الأمريكية، تكثفت المحادثات المباشرة

بـين (قوات سـورية الديمقراطية) و(هيئـة تحرير الشـام) والمحادثات غير المباشرة بين (قوات سوريا الديمقراطية) وتركيا، في حين انتقلت أيضًا جهود الوحدة بين الأكراد إلى أربيل. أما قائد(سوريا الديمقراطية) (مظلوم عبدي) فهـو عقد اجتماعـات مع زعيم الحزب الديمقراطي الكردسـتاني (مسـعود بـارزاني) ورئيس إدارة كردسـتان (نيجيرفان بارزاني). ويجـري البحث عن طرق لإزالة كوادر حزب العمال الكردسـتاني من سوريا ودمج (قوات سوريا الديمقراطية) في النظام الجديد بوساطة أمريكية.

يعتمد هذا الحل المحتمل على مدى قبول أنقرة، التي لديها إسـتراتيجية تتمثل في ضرورة تصفية (قوات سوريا الديمقراطية)، وإزالة قيادتها من البلاد وعدم السـماح بأي شكل من أشكال الحكم الذاتي، مع التأكيد على ضرورة الاندمـاج في الجيش الجديد، وضرورة عمل الأمريكيين على اندماجهم في الجيـش الجديد. وبحث كيفية حماية (قوات سـوريا الديمقراطية)، وبحث كيفية انتقال الأكراد مـن الحكم الذاتي إلى النظام الجديد، يعتمد على مدى اسـتيعاب (أردوغان) للسيناريو الذي يمكن أن يُطلَق عليه (إعادة ضبط خالٍ من الصراع).

مُستَقبَلُ التَّعَاوُن التُّركيّ - العَرَبيّ

هل هناك أسـس لقيام تعاوُن عربي - تركي في سوريا؟ تعتبر بعض الدول

العربية أن إسـقاط النظام السـوري بالطريقة التي تمّت بها، انقلابًا تركيًّا على مسار سياسي كانت تقوده الإمارات العربية المتحدة، وكان يهدف إلى إخراج الرئيس السـابق (بشـار الأسد) ضمن مهلة تتراوح من سـتّة إلى تسعة أشهر، وهـي تعتبر أن اجتماعـات العقبة بمخرجاتها قد مثلـت بدورها انقلابًا على هذا الانقلاب، لا شك أنَّ للعرب هواجسهم تَجاه ما حصل في سوريا، سيَّما وإن تركيا ساهمت في ثورات الربيع العربي ودعمت الإسلام السياسي، فمن الصعوبة بمكان قبول العرب بفصيل إسلامي جهادي حاكمًا لدمشق، وبالرغم من محاولة (الجولاني/الشرع) إعادة تقديم حالته السياسية بأنها ليست تهديداً للعرب أو للداخل السوري (أي للأقلّيات)، فالعرب يراقبون بحذر، وهم أكثر ما يكونون بحاجة إلى «سوريا مستقرّة».

كانت زيارة الوفد السعودي إلى دمشق رسالة إيجابية من دون تقديم اعتراف غير مشروط، أما الإمارات ومصر فهما الأكثر حذرًا، ويتسـاءل العرب حول ما إذا تعلمت تركيا الدرس من سياستها السابقة عندما تخلت عن استضافتها للإخوان المسلمين على أراضيها، وهم يؤكدون أن سوريا ليست ليبيا. رسائل تركيا للعرب تؤكد أن الاستقرار وإعادة الإعمار في سوريا لا يمكن أن يتحقّقا مـن دون شراكة عربية فاعلة للسـعودية والإمـارات والأردن وقطر. أما تركيا التي ساندت (الثورة السورية) منذ ثلاثة عشر عامًا واستطاعت إلحاق الهزيمة بإيران، وإغلاق طريق سـوريا على حزب الله، وأبعدت روسيا، ترى أنَّ (بيان

العقبــة) عبرّ عن تناقض بــين رؤيتها والمجتمعين من الــدول العربية لإعادة فرض القرار ٢٢٥٤ كخارطة طريق للانتقال الســياسي في ســوريا، خوفًا من فَرْض أجندتها الخاصة بخصوص مستقبل سوريا.

تــرى تركيــا أن (الجولاني/الشرع) عندمــا وافق على مــا حمله المبعوث الأممي إلى ســوريا (بيدرســون)، فهو عبرّ عن ضرورة بناء المرحلة السياسية الانتقاليــة، لكنــه اعتبر أن التطوّرات السياســية الأخيرة تفــرض الحاجة إلى تحديث القرار ليواكب الواقع الســياسي الجديد. وهو توافق مع (بيدرسون) على أهمّية التعاون السريع والفعّال لمعالجة قضايا السوريين، وضرورة التركيز على وحدة أراضي سوريا، وإعادة الإعمار، وتحقيق التنمية الاقتصادية.

أمــا الرأي الســوري الآخر الذي أعلــن أنَّ القرار الــدولي ٢٢٥٤ لا يزال يمثّل الإطار الأمثل للوصــول إلى تحقيق أهداف الثورة، يُظهِر أن التباعد في المواقف ليس فقط بين طروحات العقبة وبين (هيئة تحرير الشام) حول موقع ودور القرار الأممي المعلن قبل تسع سنوات، بل إنَّ التباعد هو بين السوريين أنفسهم كما يبدو بشأن قبول القرار الأممي كخارطة طريق سياسية يُبنَى عليها في الانتقال السياسي.

كان هناك تجاهلٌ عربي في قمة العقبة بما يتّصل بسياسات ومواقف (قوات سوريا الديمقراطية) المدعومة أمريكيًّا، التي ما زالت تسيطر على جزء كبير من الأراضي الســورية حيث الزراعة والطاقة. في الوقت الذي يطالبون فيه (هيئة

تحرير الشـام) بترجمة أقوالها إلى أفعال في ما يتعلّق بإدارة عمليات التحوّل الانتقالي وتحقيق أوسـع مشاركة سورية. بالنسـبة إلى تركيا أهداف اجتماع العقبة على النحو العاجل كان من أجل الاستفادة من ضعف وتراجع الدوْرين الروسي والإيراني في سـوريا. بينما بالنسـبة للآخرين هو تخوف البعض في سوريا من احتمال فرض وصاية تركية على السوريين، إلا أنها تجزم أن وجود اللاعب العربي والتركي والغربي حول طاولة واحدة هو إنجازٌ مهم.

مُستَقْبَلُ العَلاَقَاتِ التُّركِيَّة الإِيرَانِيَّة

اتهمت إيران (إسرائيل) والولايات المتحدة على لسـان المرشـد الأعلى (السـيد علي خامنئي) بالعمل على إسقاط النظام السـوري الذي اتهم تركيا -دون أن يسميها- وكانت تقارير الصحف الإيرانية شديدة اللهجة ضد تركيا، لا شـك أنَّ ما جرى أدى إلى نكسـة إسـتراتيجية تعرضت لها إيران، لم تكن كل الجهـود التي بذلتها إيران طيلة ثلاثة عشر عامًـا كافيةً لمنع انهيار النظام السـوري السريع في ٨ كانون الأول، لأسـباب عديدة وأهمها: تركيبة النظام وتكلُّسه والفساد المستشري في مفاصله الأساسية وعدم قدرته على الإصلاح في ظل حصار اقتصادي خانق، وإلقاء المسـؤولية على طهران، وقد اعترف (السيد علي خامنئي) بأنَّ إيران واجهت ممانعةً من النظام السوري لمساعدته بالطرق الصحيحة، وبشكلٍ متوازٍ، أظهرت الفصائل العراقية -التي لعبت دورًا

مهمًا في الحرب الدائرة- بعدم الرغبة في الانخراط في حرب لا تريد القوات المسلحة السورية الانخراط فيها.

تاريخ العلاقات التركية - الإيرانية يشير للكيفية التي قد تتشكل بها العلاقات بين البلدين بعد سقوط النظام السوري، حيث لا يُتوقع أن تصل العلاقات التركية - الإيرانية إلى حد القطيعة. لكن يمكن القول إن المنافسة التاريخية بينهما ستزداد حدة. يمكن أن نشهدَ في المرحلة المقبلة الضغط على أنقرة، خصوصًا في العراق، لكن العلاقات بين تركيا وإيران تتجاوز مجرد علاقات حُسْن الجوار، فمن غير المتوقع أن تتبنى إيران سياسةً خارجيةً تضعها في مواجهة واضحة مع تركيا، رغم أن المنافسة قد تحتدم. حتى في سوريا فيما بعد.

وكانت وزارة الخارجية الإيرانية قد أعطت إشارات إيجابية تجاه تركيا والإدارة الجديدة في سوريا، فلدى الدولتان تواصل نشط سيَّما مع وزارة الخارجية التركية بخصوص الشأن السوري. ومن المتوقع أن تزداد حدة المنافسة القديمة بين تركيا وإيران في المستقبل. ومع ذلك، يُرجَح أن تظل هذه المنافسة متوازنة، دون أن تؤثر سلبًا على العلاقات الاقتصادية بين البلدين. ومع تولي (دونالد ترامب) الرئاسة وتصاعد العقوبات الاقتصادية على إيران، يُتوقع أن تفضّل إيران التعامل مع تركيا كداعم دبلوماسي ضد العقوبات بدلاً من رؤيتها كخصم. حيث إن تركيا لم تدعم أبدًا إدخال الاقتصاد الإيراني

في أزمات خانقة، وفضلت الحفاظ على استقرار المنطقة. وبالتالي، قد ترى إيـران في تركيا شريـكًا يمكنها الاعتماد عليه للتخفيف مـن وطأة العقوبات في عهـد (ترامب) الذي يكن العداء لها. ورغم اسـتبعاد إيران عن محادثاتٍ بشأن سـوريا يبقى أنَّ استقرار المنطقة يتطلب مشاركتها لأسباب تتعلق بأمن مستقبل سوريا.